برنامج الدَّرس الواحد العاشر

الدَّرس (١٤)، المغرب: المغرب ٢١ / رجب / ١٤٣٣

تطْرِيزُ

الشيخ صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

حفظه الله تعالى

علىٰ

شرح حديث

«إن أغبط أوليائي...»

للحافظ أبي الفرج ابن رجب

رحمه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

السَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمْدُ لله رَبِّنَا، وأشْهَدُ أن لَا إلـهَ إلَّا اللهُ وحْدَه لا شَريكَ لَه، وأَشهَدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُه ورسُولُه.

أمَّا بَعْدُ..

فهذَا الدَّرسُ (الرابع عشر) مِن بَرنامجِ الدَّرسِ الواحدِ العَاشِر، والكِتابُ المقْرُوءُ فيه هُو: (شرح حديث «إن أغبط أوليائي.. ») لِلعلَّامةِ أبي الفرج ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ.

وقَبلَ الشُّروعِ في إقرائِه لَابُدَّ مِن ذِكرِ مُقدِّمتَينِ اثنَتَينِ:

المقدِّمةُ الأولَىٰ: التَّعريفُ بالمصنِّفِ، وتنتَظِمُ في ثلاثةِ مَقاصِدَ:

المَقْصَدُ الأوَّلُ: جَرُّ نَسَبِه، جر نسبه هو الحافظ الكبير والعلامة النحرير عبد الرَّحمٰن بن أحمد بن رجب السُّلَمي الحنبلي الدِّمشقي ثم البغدادي، يُكْني بأبي الفرج، ويُعرف بزيد الدين، وبابن رجب نسبةً إلىٰ جده.

وتقدم القول في كراهة الألقاب التي تُضاف فيها الأسماء إلىٰ الدِّين.

المقصَدُ الثَّانِي: تاريخُ مَولِدِه، وُلد في الخامس عشر من شهر ربيع الأوَّل سنة ستٍّ وثلاثين وسبعمائة.

المقصَدُ الثَّالثُ: تاريخُ وفاته، توفِّي رَحِمَهُ اللهُ ليلة الاثنين رابع رمضان سنة خمس و تسعين وسبعمائة وله من العمر تسع وخمسون سنة رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة.

وما في أكثر الكتب المترجمة له بذكر وفاته في شهر رجب وضبط بعض الأفاضل لذلك بقولهم: في رجب مات ابن رجب. غلط فإن موته المحقَّق هو في التاريخ المذكور، قَّيده بذلك أحد كبار الحنابلة من المترجمين لعلماء المذهب وهو البرهان بن مفلح في «**المقصد الأرشد**»، فهو العمدة في تعيين تاريخ وفاته، ولا تجدها عند غيره مفصَّلةً.

المقدِّمةُ الثَّانيةُ: التَّعريفُ بالمصنَّفِ، وتَنتَظِمُ في ثَلاثةِ مَقاصِدَ أيضًا:

المقصَدُ الأوَّلُ: تَحقيقُ عُنوانِه: اسم هذا الكتاب كما تشهد له نسخته الخطية «شرح حديث «إن أغبط أوليائي» الحديث».

المقصَدُ الثَّاني: بَيانُ مَوضُوعِه، أفرد المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ كتابه هذا في شرح حديث مروي عن النبي ﷺ، وهو أحد الذين شُهِروا من العلماء الأوائل بإفراد جملة من الأحاديث بالتَّصنيف في تآليف مُفردة.

وهذا الحديث لم يَمنع ابن رجب ضعفه من العناية بشرحه لثبوت معانيه، **وتلك جادَّةُ العلماء في الأحاديث الضعيفة فإنهم يشرحونها ولا يطرحونها إذا ثبتت معاني جملها بدلائل الشرع**.

المقصَدُ الثَّالِثُ: توْضِيحُ مَنهجِهِ، شُهِرَ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ بخصيصة جليلة في شرح الحديث النبوي هي عنايته ببيان معاني الأحاديث النبوية بالمنقول في السنة النبوية والآثار السلفية، فلا يكاد أن يُخْلِيَ جملة من مقاصد شرح حديث ما من أن يقرنها بما يبين معناها من حديث نبوي أو آثر سلفي، وأربىٰ علىٰ غيره بما أوتي من العناية من الرقائق وكلام الصالحين وأشعارهم.

وكتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في شرح الحديث من أنفع تآليف الأوائل في ذلك بل لا يزاحمه أحد علىٰ الحقيقة فيها.

ومن اللطائف في هذا أن كتابه «**فتح الباري في شرح صحيح البخاري**» لما طبع القدر الذي طبع منه زرت شيخنا بكرًا أبو زيد رحمه الله فسألني عن جديد الكتب فأخبرته بهذا الكتاب، فأخبرني بأنه قد فرغ من قراءته، ثم قال: هذا الفتح الذي لا هجرة بعده. يعرِّض بالمشهور في مدح «فتح الباري لابن حجر»، لأنه يقال فيه: «لا هجرة فيه بعد الفتح» كما في حديث ابن عباس في الصحيح، ومن قرن بين الكتابين رأىٰ ما أوتي ابن رجب من كثرة إيراده جمل من الآثار تتعلق بمسائل يتصور بعض المتكلمين في العلم أن لا آثر فيها، فكُتبه في شرح الأحاديث لا يستغني عنها طالب العلم، مع ما تثمره من رقة القلب و تهذيب النفس وإصلاح الحال فهي من أحسن الكتب في مبادئ العلم في القراءة.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ:

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

ربِّ يسِّر وأعن يا كريم.

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله عَلَىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

خرَّج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِّ، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ لَهُ بِالْأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا فَصَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ، ثُمَّ نَقَرَ بِيَدِهِ فَقَالَ: عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، قَلَّتْ بَوَاكِيهِ، قَلَّ تُرَاثُهُ».

وقال الترمذي: حديث حسن واللفظ له.

ولفظ ابن ماجه: «أغبط الناس عندي» والباقي بمعناه ولم يذكر « نَقَرَ بِيَدِهِ » .

قوله ﷺ: «أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي» الاغتباط هو: الفرح والسرور والابتهاج بالنعمة سواء كانت عَلَىٰ الإنسان أو عَلَىٰ غيره، محبة لذلك الغير وتهنئة له بما وصل إِلَيْهِ، وسواء كان المغبِط له أعلىٰ منزلة من المغبوط أو مساويًا أو دونه.

فأما مع علو المنزلة فكما في هٰذا الحديث، وفي حديث: «إن لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ ﷻ». وفسرهم بالمتحابين في الله ﷻ، وليس المراد أن الأنبياء يتمنون أن يكونوا بمنزلتهم لقصورهم عن درجاتهم، وإنَّما المراد أنهم يتهجون ويسرون بهم بمكانهم من الله ﷻ.

ومن هنا يُعلم أن من فسر الغبطة بتمني مثل نعمة المغبوط، من غير زوالها عنه -بخلاف الحسد، فإنَّه تمني زوال نعمة المحسود- ليس ذلك عَلَىٰ إطلاقه وإنَّما هي في غبطة الأدنىٰ للأعلىٰ خاصة.(١)

وقوله: « أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي » يشير ﷺ إِلَىٰ أن من كان كذلك فهو من خاصة أوليائه، وأن النبي ﷺ يُسَرُّ بمن كان من أمته عَلَىٰ هذه الصفة، ويفرح به ويهنئه بما حصل له من السعادة، وكذلك جعله النبي ﷺ من أوليائه.

---

(١) يترشح مما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن الغبطة نوعان:

النَّوع الأول: غبطة الأعلى للأدنى، وحقيقتها الابتهاج والسُّرور بوصول النِّعمة إليه.

والنَّوع الثاني: غبطة الأدنى للأعلى، وحقيقتها كراهية وصول النعمة مع عدم تمنِّي زوالها.

وهذه فائدة جليلة مستفادة مما أبان عنه ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هٰذا الموضع، ويعلم منه الفرق بين الحسد والغبطة التي تكون من الأدنى للأعلى، فإن الحسد يشتمل على كراهية وصول النعمة مع تمنِّي زوالها، وأما الغبطة فإنها تتضمن كراهية وصول النعمة، ذكر معناه أبو العباس بن تيمية الحفيد في بعض رسائله.

وأولياء رسول الله ﷺ أولياء الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾[المائدة] وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «إن وليي الله وصالح المؤمنين» . وفي حديث آخر: «إن أوليائي من كانوا وحيث كانوا».

وكذلك هم أولياء الله ﷻ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[يونس] فمن كان أعظم إيمانًا وتقوىٰ فهو أعظم وَلاية لله ورسوله ﷺ.[١]

فهو أعظم ولاية لله ورسوله ﷺ، فلهذا قال في هذا الحديث: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ» والمؤمن إذا أُطلق، لا سيما في مقام المدح، فإنما يراد به: من كمل إيمانه بفعل الواجبات وترك المحرمات، وربما أريد به: من قام بعد ذلك بالنوافل؛ لأنّ ذلك كله داخل في اسم الإيمان.

وقوله: « خَفِيفُ الْحَاذِّ » فسره الأصمعي بقلة المال. قال: قال ابن قتيبة: ويفسر أيضًا بقلة العيال، ويشهد لهذا قول أبي ذر: لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُغْبَطُ الرَّجُلِ فِيهِ بِخِفَّةِ الْحَاذِ، كَمَا يُغْبَطُ الْيَوْمَ فِيكُمْ أَبُو عَشْرَةَ. خرجه أبو نعيم وغيره.

وخرَّج ابن عدي وغيره من حديث حذيفة مرفوعًا: «خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ». قالوا: وما خفيف الحاذ؟ قال: «الَّذِي لا أهل له ولا ولد».

وهو من باب الاستعارة والكناية؛ لأنّ أصل الحاذ هو اللحم كما يقال: خفيف الظهر.[٢]

فأما قلة المال: فهو ما يغبط به صاحبه في الدُّنْيَا إذا صبر عَلَىٰ ذلك أو رضي به، وسنذكر ذلك في تفسير قوله: « وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا فَصَبَرَ عليه» إن شاء الله تعالىٰ.

وأما قلة العيال فهو مما يغبط به المؤمن أحيانًا لاسيما مع فقره وحاجته، ولهذا يقال:«قلة العيال أحد اليسارين» . فإن كثرة العيال قد يحمل المؤمن عَلَىٰ طلب الرزق لهم من الوجوه المكروهة، ولهذا

---

(١) وَلاية يجوز الفتح والكسر لكن الفتح أفصح.

(٢) ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن قوله ﷺ: « خَفِيفُ الْحَاذِّ » فسر بشيئين:

أحدهما: قلة المال، والآخر: قلة العيال.

وذكر ما يشهد للثاني أولا وهو أثر موقوف عن أبي ذر رضي الله عنه وفيه أنه قال: (**ليأتين عليكم زمان يغبط الرجل فيه بخفة الحاذ كما يغبط اليوم فيكم أبو عشرة**) أي من له عشرة من الولد.

ثم ذكر حديثًا مرفوعا في بيان خفيف الحاذ في أنه من لا أهل له ولا ولد، وهو حديث لا يصح مرفوعًا، وأعلى من هذين ما رواه ابن حبان في «صحيحه» بسند رجاله ثقات في قصة خِطبة معاوية وأبو الجهم رضي الله عنهما فاطمة بنت قيس، وفيه أن النبي ﷺ قال: «أما معاوية فرجل خفيف الحاذ» وأصل الحديث في الصحيح بلفظ «وأما معاوية فصعلوك لا مال له» ومثل هذا اللفظ مما يُتسمح في قبوله تفسيرًا لما جاء في الصحيح، لأنه مروي برجال ثقات ممن خرَّج لهم مسلم وهو في معنى ما في الصحيح، فكان صالحًا لإيراده ها هنا.

وقع في كلام كثير من السَّلف ذم العيال، فكان سفيان الثوري يقول: لا يُعبأ بصاحب عيالٍ، فقلما رأيت صاحب عيال إلا خلَّط.(١)

وكان يقول: لا أعتد بعبادة رجل له عيال. وقال: لو حدّثت عن ذي العيال أنَّه كفر ما أبعدت.

وقال: لو حُدّثت عن ذي العيال أنَّه كفر ما أبعدت.(٢)

وقال: صاحب العيال لا يكون ورعًا أبدًا.

وقال: من تزوج فقد ركب البحر، فإن ولد له فقد كُسر المركب.

وقال: كانت لنا هرَّة لا تؤذينا، فلما ولدت كشفت القدور.

وعاتب سفيان رجلاً من كتاب الأمراء عَلَىٰ كتابته معهم، وقال له سفيان: كلما دعي بأمير ممن كتبت له دعيت أنت معه، فسئلت عما جرىٰ عَلَىٰ يدك فأنت أسوؤهم حالاً. فَقَالَ له الرجل: فكيف أصنع بعيالي؛ فَقَالَ سفيان: اسمعوا هذا، يقول: إذا عصىٰ الله رُزق عياله، وإذا أطاع الله ضُيع عياله، ثم قال سفيان: لا تقتدوا بصاحب عيال، فما كان عذر من عوتب إلا أن قال: عيالي.

وقال: يؤمر بالرجل إِلَىٰ النار يوم القيامة فيقال: هذا عياله أكلوا حسناته.

ولما ولي شريك قضاء الكوفة هجره سفيان وقال: أي رجل أفسدوه! فَقَالَ شريك: لو كان لسفيان بنات، أفسدوه أكثر مما أفسدوني. ومما يستدل عَلَىٰ فضل قله العيال بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾[النساء] عَلَىٰ تفسير من فسره بكثرة العيال، ولكن الجمهور عَلَىٰ تفسيره بالجور والحيف، فإن ملك اليمين قد تكثر به الأولاد كثر من الزوجات الأربع، فإنَّه لا ينحصر في عدد.

وكان الإمام أحمد ينكر عَلَىٰ من كره كثرة الأزواج والعيال، ويستدل بحال النبي ﷺ وأصحابه من كثيرة أزواجهم وعيالهم، ويمثل قوله: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ولكنه يأمر مع هذا بطلب الحلال والكسب، والصبر عَلَىٰ الفقر وإن شق.

فالإمام أحمد أمر بما جاء الأمر به في الشرع، وسفيان نظر إِلَىٰ قلة صبر الناس إِلَىٰ ما يؤول إِلَيْهِ حالهم عند كثرة عيالهم من ترك الورع، والتكسب من الوجوه المكروهة، وهذا هو الغالب عَلَىٰ الناس لاسيما مع قلة العِلْم والصبر.

وأما حال الصابرين عَلَىٰ العيال المحافظين عَلَىٰ الورع معهم فعزيزٌ جدًّا كحال الفضيل لما دخل عليه الرشيد فأعطاه ألف دينار، فأبىٰ أن يأخذها، فخرج عنه، فجاء إِلَيْهِ بعض عياله فقالوا له: لو قبلت

---

(١) قوله: (إلَّا خلَّط) يعني في وجوه كسب المال.

(٢) يعني لشدة حاجته وفيه حديث مشهور «كاد الفقر يكون كفرًا» ولا يصح، ومعنى قوله: (ما أبعدت). أي ما استبعدت ذلك بل هو محل لوقوعه.

هذا المال ففرجت به عنا، قال: مثلي ومثلكم كمثل رجال كان لهم جمل يستقون عليه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه.(١)

---

(١) تأمل جميل صنيع المؤلف في حسن تأليفه بين حالين سلفيين:

أحدهما: حال سفيان الذي ذم كثرة العيال.

وحال الإمام أحمد الذي مدح ذلك.

فحمل المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالى كل قولة من قولي هذين الإمامين على حال تناسبها، فجعل كلام الإمام أحمد جارٍ وفق الشرع فقال: (فالإمام أحمد أمر بما جاء الأمر به في الشرع)، وحمل ما جاء عن سفيان بأنه متعلق بحال تعرض لكثير من الناس وهي قلة الصبر على ما يلحقهم من الضنك والضيق.

وهذا غاية الحسن في وضع التآليف و لاسيما فيما يتعلق بفهم أحوال السلف، وكثير من الناس يضيق عليه مُدرك الفهم فربما جعل أقوال السلف يعارض بعضها بعضا، وربما تسلط برد أقوالهم غير آبهٍ بجليل مقدارهم، لما تبدَّى له من أول نظرة أنه يخالف شيئًا يعلمه من ظواهر الأدلة.

وهٰذا من قلة العلم والإيمان وإلا من علم مقادير علم السلف و كمال إيمانهم اجتهد في طلب المعاذير لهم في أحوالهم فما عثر عليه فهمها منهم وكلها إليهم ولم يتكلف الرد عليها ولا نسبتها إلى الخطأ والمخالفة، فإنه قد يبدو له من المعارف والأحوال والقرائن ما لا تحيط به أنت في حال كلامك عن تلك الأحوال.

وبهذا عظم علم جماعة، من المتأخرين بحسن ظنهم بالأوائل والنظر إليهم بعين الرفعة في العلم، وضعف قدر جماعة من المتأخرين لا يستنكفون عن مباغتة أقوال السلف بالرد والسخرية والهزء إذا لم تبين لهم معانيها أو ظنوها مخالفة لظواهر النصوص فرجع ذلك عليهم بإخماد علومهم وإهمال معرفه و أشهرهم أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ تعالى فإنه كان رجلًا ذكيًا بحرًا من العلم لكنه ربما وقع في جراءات لا تحمد على بعض ما ينقل من الأئمة في أبواب الأحكام فأجرى لسانهم بما يقذِع حتى سماه ابن القيم منجنيق الغرب، لشدة ضربه على الأقوال التي يظهر له فيها المخالفة، فهجر الناس علومه وتركوا كتبه، ومثله كثير ممن جاء بعده.

فينبغي أن يتعاطى طالب العلم كتب الأوائل وكلام السلف بالإعظام والإجلال، فإن ذلك يرجع عليه بالمنفعة، والقانون الميسر لذلك هو أن يعتمد الإنسان الأخذ بالقراءة المتفهِّمة لا الأخذ بالقراءة الناقدة، فإن القراءة الناقدة أمر محدَث، ولا يجري على أصول الإسلام وقواعده وأحوال السلف رحمهم الله تعالى، فإن من جعل نظره إلى كل كلام يقرأه بعين النقد أنس بهذا وصار عادة له فراجى في كلامه صرف التهم إلى الخلق.

وأما من يقرأ قراءة متفهم فهو الذي يحاول الوصول إلى فهم تلك الأحوال والمدارك التي كانوا عليها أو تكلموا بها، فإن فهمها حمد الله عَجَّلَ على ذلك، وإن لم يفهما رد علمها إلى... [انقطع صوت التسجيل].

رَحِمَهُ اللهُ تعالى فلما جاء من غد الشيخ محمد بهجت الأثري أنشد الشيخ محمود شكري الألوسي بيتي ابن فارس:

إذا كان يؤذيك حر المَصِيف ويُبس الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن جمال الربيع فأخذك للعلم قل لي متى

=

وكان الإمام أحمد له عيال وكان يومًا لا يكون عنده شيء يفرح، وقال: أسرُّ أيامي يوم أصبح وليس عندي شيء، وأرسل يومًا إِلَيْهِ عياله يَقُولُونَ له: ليس عندنا اليوم دقيق، أو قالوا: خبز -فَقَالَ لهم: الساعة، ثم أبطأ عليهم، فعاودوه فَقَالَ: الساعة. فدق عليه رجل الباب، فإذا هو رجل من خراسان قد أرسل معه إِلَيْهِ بخمسة آلاف درهم، فأبىٰ أن يأخذها وردها.

كان فتح الموصلي يجمع عياله في ليالي الشتاء، ويمد كساءه عليهم ويقول: أجعتني وأجعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي، فبأي وسيلة توسلت بها إليك حتىٰ تفعل هذا بي، وإنَّما تفعل هذا بأوليائك وأحسابك، فهل أنا منهم حتىٰ أفرح، وعريت ابنة له فقِيلَ لَهُ: لو طلبت من أحد أن يكسوها؟ فَقَالَ: أدَعُها حتىٰ يرىٰ الله عريها وصبري عَلَىٰ ذلك.

وجيء إِلَىٰ عبد الصمد الزاهد بمال، فأبىٰ أن يقبله فقالوا له: تصدق به.

فَقَالَ لأصحابه: من كانت له حاجة إلي شيء فليأخذ، فَتوزَّعَهُ أصحابُهُ بقدر حاجاتهم فجاء إِلَيْهِ بني له صغير يبكي فَقَالَ: أنا جائع. فَقَالَ: اذهب فخذ عليَّ من البقال ربع رطل تمر.

إخواني، الطبع إِلَىٰ التوسع في الدُّنْيَا يحن، والولد يطلب ما يشتهي، والزوجة تطلب سعة النفقة، والورع يمنع من التوسع ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾[الأحزاب] فإن كان الإمام أحمد قد امتنع أن يأخذ من الخليفة شيئًا من مال بيت المال، واقتنع بِكرىٰ حوانيت[1] له كانت تغلُّ[2] في الشهرين عشرين درهمًا أو أقل، فأخذ أولاده من الخليفة، فهجرهم لذلك. وكانت أم ولده تعاتبه وتقول له: أنا معك في ضيق وأولادك يأكلون ويفعلون ويفعلون. ليقول لها: قولي خيرًا. فخرج إِلَيْهِ صبي له صغير يبكي فَقَالَ: أي شيء تريد؟ قال: زيت. قال: اذهب فخذ من البقال بحبة.[3]

شعر:

كـم أحمـل في هـواك كـلاًّ وعنًّا ... كـم أصبر فيك تحت **سقم** وضنَا
لا تطـردني فلـيس لـي عنـك غنـىٰ ... هـذا حـالي فـإن رحمـتم فأنـا

غيره:

مـن أجـل هـواكمُ هجـرت الخلقا ... لـم يُبـق حقكـمُ لنفسـي حقًّـا
في حـبكم يهـون مـا قـد ألقـىٰ ... مـا يسـعد بـالنعيم مـن لا يشـقىٰ

=
قال محمد بهجت فما ظننت إذ أنه يعنيني، فلا ينبغي أن ينقطع الإنسان عن أخذ العلم إذا عرض له مثل هٰذه العوارض وقد خفف الله عنا وذهب العارض.

(١) (بكرىٰ حوانيت) يعني أجرة.

(٢) (تغل في الشهر) يعني لها غلة يعني قدر من المال يقبض.

(٣) يعني بقدر قيمة حبة من الذهب أو نحوها من المعايير التي عنده.

وأيضًا فكثرة العيال مما يوجب تعلق القلب بهم، فيشغل ذلك عن محبته وخدمته لله، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾[المنافقون].

قال أبو حازم: كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد فهو عليك شؤم.

وقد روىٰ أبو نعيم بإسناد ضعيف من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «إذا أَحَبّ الله عبدًا اقتناه لنفسه، ولم يشغله بزوجة ولا ولد» .

ومن كلام الشيخ عبد القادر(١): وكم تقول: كل من أحبه لا يدوم لي، بل يحال بيني وبينه بموت أو غيره، فيقال لك: يا محبوب الحق! المعني به المنظورُ إِلَيْهِ المغارُ عليه، أما علمت أن الله غيور، خلقك له وتروم أن تكون لغيره، أما سمعت قوله ﷻ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾[الذاريات] وقوله ﷺ: «إذا أَحَبّ الله عبدًا ابتلاه فإذا صبر اقتناه فلم يذر له مالاً ولا ولدًا» انتهىٰ.

ومن هذا المعنىٰ الأثر الإسرائيلي: «يا ابن آدم خلقتُ كل شيء لك وخلقْتُكَ لنفسي، فلا تشتغل بما خلقتُهُ لك عما خلقتُكَ له» .

وقد قيل: إن إبراهيم الخليل -عليه السلام- إِنَّمَا أُمر بذبح ولده لتعلق قلبه به، فلما فرَّغه منه، وقدَّم محبة الله علي محبة ولده، وأسلما وتلّه للجبين، حصل الفداء بحصول المقصود منه، وهو تفريغ القلب، فلم يبق لإراقة الدم معنًىٰ.

وكذلك الخليل الأكبر لما اشتدت محبته لعائشة وقع تنغيصها عليه بما جرىٰ من حديث الإفك.

كان بعض العارفين له زوجة هي ابنة عمه وكان يحبها حبًّا شديدًا، فَقَالَ لنفسه يومًا: كيف ألقىٰ الله بهذا الحال؟ فسأل الله فمرضت ثلاثة أيام ثم ماتت فخرج من فوره إِلَىٰ مكة.

مرَّ بعض الفقراء بامرأة فأعجبته فتزوجها، فلما دخل بها البيت نزعوا خِلقَانَهُ.(٢)

فلما دخل بها البيت نزعوا خلقَانَهُ،وألبسوه ثيابًا جددًا، فلما جن عليه الليل، طلب قلبه فلم يجده فصاح: خلقَاني خلقَاني. فأخذ ورجع.

شعر:

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوىٰ	ما الحب إلا للحبيب الأولِ
كم منزل للمرء يألفه الفتىٰ	وحنينه أبدًا لأول منزلِ

---

(١) عبد القادر من؟ عبد القادر الجيلاني. طيب ما صحة قوله: (أما علمت أن الله غيور)؟ صحيح أم غير صحيح ؟ صحيح، لما في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إن الله يغار وغيرته أن يأتي عبده محارمه». وأما الحديث الذي ذكره آخرًا فهو حديث لم يقف عليه المعتني بالكتاب مسندًا ولا وقفت عليه بعد ذلك بعد بحث.

(٢) (خِلقانه) يعني هندامه.

دخلوا عَلَىٰ أبي سليمان الداراني بيته فَقَالَ بعضهم ما أحوجه إِلَىٰ زوجة تؤنسه. فَقَالَ: لا آنسني الله إلا به أبدًا.

كان إبراهيم بن أدهم قد خرج من أهله وولده وحشمه وأقام في بلاد الغربة، فحج مرة فرأىٰ ولده وحشمه في الطواف، فجعل يسارقهم النظر ويبكي، فأخبر ولدُهُ به، فجاء إِلَيْهِ فاعتنقه وبكىٰ، ثم صرفه وودعه.

وأنشد بعضهم:

هجرت الخلق طُرًّا في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا
ولو قطعتني في الحبِّ إِرْبًا ... لما حنَّ الفؤاد إِلَىٰ سواكا(١)

---

(١) لما بين المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالى أن المأمور به شرعًا هو طلب كثرة الولد كما ذكر الإمام أحمد بيَّن وجه ما حمل جماعة من السلف على كراهة كثرة العيال وأن ذلك يرجع إلى أحد شيئين:

أولهما: ما يقع من شُغل القلب بهم والتهائه بمحبتهم، فربما قصَّر في حق الله لغلبة هٰذه المحبة عليه.

والثاني: ما تؤدي به كثرة العيال إلى ضيق العيش، فربما توسَّع في وجوه كسبه، فوقع في المشتبه أو الحرام.

ثم نقل رَحِمَهُ اللهُ تعالى أحوال لجماعة من السلف ممن صبر على عياله رغبة في ما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فلم يجبه إلى ما دعوه بل كان مجنبًا نفسه وجوه الكسب التي لا تشرع كما نقله عن الفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى.

ومن صَدَقَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في حفظ كسبه الذي يطعمه ولده عن الحرام أغنى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولده، ففي أخبار عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ تعالى أنه لما حضرته الوفاة قال له وزيره رجاء بن حيوه: يا أمير المؤمنين ألا تأمر لأبنائك بشيء؟ فقال: (**أما إن تركتهم بشيء أعطيته فعصوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيه كنت آثما فإن أطاعوا أغناهم الله، وإن عصوا لم أكن معينهم على معصية**) قال رجاء: فلقد رأيت كل واحد منهم بعد ذلك قد تأثَّل مالًا عظيمًا لما علم الله عَزَّ وَجَلَّ من صِدقِهِ في حفظ وجوه الكسب غير المشروعة عن ولده فأغناهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من فضله، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يأتي بالرزق من حيث لا يحتسب الإنسان إلا أن هذا يحتاج إلى مجاهدة عظيمة.

وقد حدثني أحد مشايخ القراء أنه خرج مرة إلى موعد قراءته على شيخ له فلما أقبل على البيت سمع زوج الشيخ تعنفه وتلومه على إقباله على إقراء الناس وتعليمهم القرآن طول اليوم وترك التكسب لولده وأنه ليس في بيتهم طعام، وهو يهدئ من ثورتها ويرده إلى الصواب وهي تأبى إلا المعارضة والمعاندة.

قال: فبينما أنا واقف أسمع الصوت وإذا برجل قد أقبل بحمار عليه جوالق يعني أوعية فيها حبوب كثيرة فسألني عن دار الشيخ فأشرت إليه فطرق عليه بابه ثم أخبره بأن هذه هدية من العمدة الفلاني من البلد الفلانية؛ لأن ولده ختم القرآن عندك أمس. فانظر إلى حال هذا الرجل لما أنفق وقته ليلًا ونهارًا في تعليم الناس القرآن والقراءات أجرى الله عَزَّ وَجَلَّ له الرزق من حيث لم تتصور زوجه، فأغناه الله عَزَّ وَجَلَّ بما ساق إليه من الرزق، ومن صدق مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أغناه الله.

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ: «ومن يستغني يغنه الله»، فمن صدق مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى استغناء واكتفاء به عَزَّ وَجَلَّ أغناه الله عَزَّ وَجَلَّ وأتاه الرزق من حيث لا يحتسب

قوله: «ذو حظ من الصلاة» يشير إِلَىٰ أن المؤمن الخفي التقي لابد أن يكون له نصيب من التنفل بالصلاة، فيكون هو لذته وقوته وغذاؤه كما قال ﷺ: «جُعلت قرة عيني في الصلاة» خرّجه النسائي .

وفي سنن أبي داود عنه ﷺ أنَّه قال: «يا بلال، أقم الصلاة وأرحنا بها» .

وفي المسند عن ابن عباس قال: «قال جبريل للنبي ﷺ: يا محمد، إن الله قد حبب إليك الصلاة فخذ منها ما شئت» .

وفي مسند البزار والطبراني عن أنس «كان رسول الله ﷺ – إذا أعجبه نحو الرجل أمره بالصلاة» .(١)

وقال ثابت: «كان رسول الله ﷺ لا يشبع من الصلاة».

وفي رواية عن أنس أنَّه ﷺ قال: «الْجَائِعُ يَشْبَعُ وَالظَّمْآنُ يَرْوَىٰ وَأَنَا لَا أَشْبَعُ مِنْ حُبِّ الصَّلَاةِ»، خرَّجه عبد الله بن أحمد في الزهد.(٢)

وعن أبي هريرة قال: «كان داود –عليه السلام– كثير الصلاة لا يفتر» .

وكان ثابت البناني لا يقدر أن يَقَرّ من الصلاة حبًّا لها، وكان يقوم الليل أربعين سنة ويدعو في السحر: اللَّهمَّ إن كنت أذنت لأحد من خلقك أن يصلي في قبره فاجعلني منهم، فلما مات وسُوي اللَّبن عَلَىٰ لحده، سقطت منه لبنةٌ، فنظروا إِلَيْهِ قائمًا يصلي في قبره.(٣)

كان محمد بن النضر الحارثي لا يفتر من الصلاة، فكان إذا خرج حاجًّا فنزل الناس، قام يصلي، ثم إذا قرب ارتحالهم تقدم عَلَىٰ رأس ميل يصلي حتىٰ إذا سمع حس الإبل فإذا أدركته تقدم عليها يصلي حتىٰ تلحقه فلا يزال كذلك حتىٰ يصلي العصر ثم يركب في وقت النهي عن الصلاة.

---

(١) قوله: (نحو الرجل) يعني طريقته وهديه.

(٢) (خرجه عبد الله بن أحمد في الزهد) يعني في الزوائد على زهد أبيه، ولكن المعتني بالكتاب عزاه إلى غيره لفقد كثير من كتاب الزهد، فالزهد للإمام أحمد الموجود بأيدي الناس فيه نقص كبير.

ومن العجيب أن نُسَخ الكتب الخطية التي تعلم اليوم جميعها ناقصة ولا توجد منها نسخة كاملة، لكن مما ينبه إليه أن لابن الجوزي كتاب اسمه «**الحدائق في الزهد والرقائق**» في ثلاث مجلدات ضمنه كثيرًا من المروي في مسند الزهد لأحمد، يسوقه بإسناده تاما فهو من مظان ما يوجد فيه بعض المفقود من كتاب الزهد للإمام أحمد.

(٣) هٰذه القصة لا ينبني عليها عمل، ولما كان مثل هٰذه القصص لا ينبني عليها عمل وبابها الرقائق تواطأ أئمة الإسلام إخراج مثل هٰذه الحكايات في «كتاب الزهد» للإمام أحمد و«الزهد» لأبي داود و«الزهد» لأبي بكر البيهقي، وجادة السلامة هو السير بسيرهم، إلا أن تشتمل على منكر مخالف للأحاديث يترتب عليها عمل، فهٰذا حينئذ تنكر الحكايات، فالحكايات لا يطلب لها إسناد كما ذكر الخطيب رحمه الله تعالى في الجامع أن من طريقة أهل الحديث أن الإسناد للحكايات والأشعار زينة لها؛ يعني ليس أصلا تقام عليه، لأن مبنى ذلك المسامحة فيها، وانظروا إلى اختلافكم في النظر إلى هٰذه القصة فإذا كان النظر متباينا في تقدير متعلقها عدم التعرض لها مع أنها من باب الزهد والرقائق، وأن ما فيها لا ينبني عليه اعتقاد ولا حكم شرعي.

وكان كَرز بن وبرة لا يفتر عن الصلاة، وكان إذا حج ونزل الناس منزلاً تواریٰ عن الناس يصلي في موضع لا يرونه، فإذا سمع بحركة الناس بالسّير، جاء إِلَىٰ رفقته فاحتبس عنهم يومًا عند الرحيل، فطلبه بعض رفقته فوجده قائمًا يصلي فِي يوم شديد الحر وغمامة تظله، فاجتهد به حتىٰ حلف له أن لا يخبر بما رأىٰ منه أحدًا حتىٰ يموت.

شعر:

كـم أكـتم حـبكم عـن الأغيـار ... والوجـد يـذيع في الهـوىٰ أسـراري
كـم أسـتركم هتكتمـوا أسـتارىٰ ... مـن يخفـي في الهـوىٰ لهيـبَ النـارِ

قوله: « أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ » إحسان العبادة إتقانها وإكمالها والإتيان بها عَلَىٰ أكمل الوجوه. والحاصل عَلَىٰ ذلك أن يعبد العبد ربه كأنه يراه كما فسر النبي ﷺ الإحسان بذلك، وكان يقول في دعائه: « أسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك» وعلَّم معاذ بن جبل أن يقول: «اللّهـمَّ أعني عَلَىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» .

قوله: «وإطاعته فِي السِّرِّ » طاعة العبد لربه في السر دليل عَلَىٰ قوة إيمانه وإخلاصه لربه، وكان النبي ﷺ يسأل ربه خشيته في السر والعلانية، وأفضل النوافل إسرارها، ولذلك فُضّلت صلاة الليل عَلَىٰ نوافل الصلاة وفضِّلت صدقة السر عَلَىٰ صدقة العلانية.

وفي الحديث «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة».

قال بعض السَّلف: ما أعتد بما ظهر من عملي.

وحب الإسرار بالطاعة من علامات المحبين لمولاهم.(١)

قال مخلد بن الحسين: ما أَحَبّ الله عبدٌ فأحب أن يعرف الناس مكانه.

وقال أحمد بن أبي الحواري: مَن عَبَدَ الله عَلَىٰ المحبة لا يحب أن يرىٰ خدمته سوىٰ محبوبه.

واطّلع عَلَىٰ بعض أسرار المحبين مع الله، فعلم بذلك، فدعا لنفسه بالموت، وقال: إنما كانت المعاملة تطيب حيث كانت سرًّا بيني وبينه، فمات.

سئل بعضهم عن شيء من أسراره مع مولاه فأنشد:

مـن سـارروه فأبـدىٰ السـر مجتهـدًا ... لـم يـأمنوه عَلَىٰ الأسـرار مـا عاشـا
وجـانبوه فلـم يظفـر بـودهم ... وأبـدلوه مـن الإينـاس إيحاشـا
لا يصـفون مـذيعًا بعـض سـرهم ... حاشـا ودادهـم مـن ذاكمـو حاشـا

المحبون يغارون عَلَىٰ الأسرار من اطّلاع الأغيار.

نسيم صبا نجدٍ متىٰ جئت حاملاً ... تحيتهم فـاطْوِ الحـديث عـن الركْـب
ولا تـذع السـر المصـون فـإنني ... أغـار علـىٰ ذكـر الأحبـة مـن صَـحْب

قوله: « وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ لَهُ بِالْأَصَابِعِ » يدل عَلَىٰ فضل العبد التقي الخفي.

---

(١) هٰذه الجملة: (وحب الإسرار) هٰذه ابتداء من كلام ابن رجب فالكلام الأول انتهى (ما اعتد بما ظهر من عملي).

وفي حديث سعد عن النبي ﷺ: «إن الله يحب العبد الغني التقي الخفي».

وفي حديثه أيضـًا: «خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي».

وفي حديث معاذ المرفوع : «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا، مَصَابِيحُ الْهُدَىٰ يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ» خرّجه ابن ماجه.(١)

وخرَّج من حديثه مرفوعًا أيضـًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ؟ قلت: بَلَىٰ. قَالَ: رَجُلٌ ضَعِيفٌ مُسْتَضْعَفٌ ذُو طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ» .

وفي حديث آخر: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ».(٢)

قال ابن مسعود : كونوا ينابيع العِلْم مصابيح الظلام، جُددُ القلوب خلقان الثياب، تُعرفون في أهل السماء، وتخفون عَلَىٰ أهل الأرض.

كان قاسم الجوعي يقول لأصحابه: اغتنموا من زمانكم خمسًا إن حضرتم لم تعرفوا، وإن غبتم لم تفقدوا، وإن شَهدتم لم تشاوروا، وإن قلتم شيئًا لم يقبل قولكم، وإن عملتم شيئًا لم تعطوا به. وأوصيكم بخمس أيضـًا: إن ظُلمتم لم تظلموا، وإن مُدحتُم لم تفرحوا، وإن ذُممتُم لم تجزعوا، وإن كُذِّبتُم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا.

طوبىٰ لعبد بحبل الله معتصم ... عَلَىٰ صراط سويٍّ ثابت قدمه
رثُّ اللباس جديدُ القلب مستترٌ ... في الأرض مشتهر فوق السماء اسمه
ما زال يحتقر الأولىٰ بهمته ... حتىٰ ترَّقت إِلَىٰ الأخرىٰ به هممه
فذاك أعظم من ذي التاج متكئًا ... عَلَىٰ النمارق مختلفًا به خدمه

ما زال الصادقون من العُلَمَاء والصالحين يكرهون الشهرة ويتباعدون عن أسبابها، ويحبون الخمول، ويجتهدون عَلَىٰ حصوله.

وقال بعضهم: ما اتَّقىٰ الله من أَحَبّ الشهرة.

وكان أيوب السختياني يقول: ما صدق عبدٌ إلا أَحَبّ أن لا يشعر بمكانه.

ولما اشتهر بالبصرة كان إذا خرج إِلَىٰ موضع يتحرَّىٰ المشي في الطرقان الخالية، ويجتنب سلوك الأسواق والمواضع التي يعرف فيها.

وكان سفيان الثوري لما اشتهر يقول: وددت أن يدي قُطعت من إبطي، وأني لم أشتهر ولم أُعرف.

ولما اشتهر ذكر الإمام أحمد، اشتد غمه وحزنه، وكثر لزومه لمنزله، وقل خروجه في الجنائز وغيرها، خشية اجتماع الناس عليه.

وكان يقول: طوبىٰ لمن أخملَ الله ذكره. وكان يقول: لو قدرت عَلَىٰ الخروج من هذه المدينة -يعني بغداد- لفعلت حتي لا أُذكر عند هؤلاء -يعني الملوك. فكان إذا مشي معه أحد من أقاربه يعرفه

(١) قوله: (يخرجون من كل غبراء مظلمة) يعني من الفتن المدلهمة التي تحيط بالخلق.

(٢) أما الحديث الأول فلا يثبت، وأما الثاني ففي الصحيح.

الناس، أبعده عنه لئلا يعرف به، وكان لا يدع أحدًا يمشي معه في الطريق ولا يتبعه، فإن تبعه أحد وقف حتىٰ ينصرف الَّذِي معه.

وكان ابن مسعود يقول لمن تبعه: لو تعلمون ما أغلق عليه بابي لم يتَّبعني منكم أحد.

ورأىٰ عمر قومًا يتبعون رجلاً فعلاهم بالدِّرة.(١)

فعلاهم بالدرة وقال: إن خفق النعال خلف الأحمق، قل ما يُبقي من دينه.

مشىٰ قومٌ مع معروف إِلَىٰ بيته، فلما دخل قال لهم: مشيُنا هذا كان ينبغي لنا أن نتقيه، أليس جاء في الخبر: «أنَّه فتنة للمتبوع مذلة للتابع».

وكان بعض العُلَمَاء في مجلسه فقام، فاتبعه جماعة فأعجبه ذلك، فرأىٰ تلك الليلة في منامه قائلا يقول: سيعلمُ من يُحبُّ أن يُمشىٰ خلفه غدًا.

ورئي سفيان في النوم بعد موته فقِيلَ لَهُ: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي. قِيلَ لَهُ: هل رأيت شيئًا تكرهه؟ قال: نعم، الإشارة بالأصابع -يعني قول الناس هذا سفيان.

الإشارة إِلَىٰ الرجل بالأصابع فتنة، وإن كان في الخير.

وفي الحديث «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ شَرًّا أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ، إِلَّا مَن عَصَمَهُ اللهُ».

كان بعض التابعين إذا جلس إِلَيْهِ أكثر من ثلاثة أنفس قام خوف الشهرة.(٢)

وكان علقمة يكثر الجلوس في بيته فقِيلَ لَهُ: ألا تخرج فتحدث الناس.

فَقَالَ: أكره أن يوطأ عقبي ويقال: هذا علقمة، هذا علقمة.

كان كثير من الصادقين من السَّلف يجتنب لباس الثياب التي يُظنُّ بأصحابها الخير، إبعادًا لهذا الظن عن أنفسهم.

وكان ابن محيريز يدعو فيقول: اللَّهمَّ إني اسألك ذكرًا خاملاً.

وقال مطرف: انظروا قومًا إذا ذكروا ذكروا بالقراءة، فلا تكونوا منهم، وانظروا قومًا إذا ذكروا ذكروا بالفجور فلا تكونوا منهم، وكونوا بين ذلك.(٣)

وهٰذا هو الذكر الخفي المشار إِلَيْهِ في حديث سعد، وهو من أعظم نعم الله عَلَىٰ عبده المؤمن، الَّذِي رزقه نصيبًا من ذوق الإيمان، فهو يعيش به مع ربه عيشًا طيبًا، ويحجبه عن خلقه حتىٰ لا يُفسدُوا عليه حاله مع ربه، فهٰذه هي الغنيمة الباردة، فمن عرف قدرها وشكر عليها فقد تمت عليه النعمة.

وقد ورد في بعض الآثار أن العبد يسأل عن شكر هذه النعمة يوم القيامة.

---

(١) بالدِّرة بالكسرة، يعني العصا، والدُرة بالضم الجوهرة.

(٢) وهو إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) قوله رَحِمَهُ اللهُ : (قوم إذا ذكروا ذكروا بالقراءة) أي بالعلم. لأن وصف القراءة والقُراء كان في الصدر الأول موضوعًا للدلالة على العلم، كقول حذيفة مثلًا في البخاري: يا معشر القراء. يعني يا طلاب العلم.

شعر:

تواريت من دهري بظل جناحه فعيني ترىٰ دهرىٰ وليس يراني
فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

كم بين حال هؤلاء الصادقين وبين من يسعىٰ في ظهوره بكل طريق، باستجلاب قلوب الملوك وغيرهم، لكن إذا حقت الحقائق تبين الخالص من البهرج.

شعر:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكىٰ ممن تباكىٰ

رائحة الإخلاص كرائحة البخور الخالص، كلما قوي سَتْره بالثياب، فاح وعبق بها، ورائحة الرياء كدخان الحطب، يعلو إِلَىٰ الجو ثم يضمحل وتبقىٰ رائحته الكريهة. كلما بليت أجسام الصادقين في التراب فاحت رائحة صدقهم فاستنشقها الخلق.

كما اجتهد المخلصون في إخفاء أحوالهم عن الخلق، وريح الصدق تنم عليهم. كم يقول لسان الصادق: لا لا، وحاله ينادي: نعم، ولسان الكاذب يقول: نعم، وحاله ينادي عليه: لا لا.

كما اجتهد الإمام أحمد عَلَىٰ أن لا يذكر، وأبىٰ الله إلا أن يُشهرهُ ويقرن الإمامة باسمه عَلَىٰ ألسنة الخلق شاءوا أو أبوا، وكان في زمانه من يعطي الأموال لمن ينادي باسمه في الأسواق ليشتهر، فما ذكر بعد ذلك ولا عرف.

خمول المحبين لمولاهم شهرة، وذلُّهم بين يديه عزٌّ، وفقرٌ إليه الغنىٰ الأكبر.

شعر:

تذلُّل أرباب الهوىٰ في الهوىٰ عزٌّ وفقرهم نحو الحبيب هو الكنزُ
وسترهم فيه السرائر شهرةً وغير تلاف النفس فيه هو العجزُ

قوله: « وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا فَصَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ » هذا خير الرزق كما سبق في حديث «خير الرزق ما يكفي».

وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول: « اللَّهمَّ اجعل رزق آل محمد قوتًا»

وقد فسر طائفة من المفسرين قوله تعالىٰ: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ [طه] بهذا، وقالوا: المراد رزق يوم بيوم.

في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «قد أفلح من هُدي إِلَىٰ الإسلام وكان عيشه كفافًا وقنَّعه الله به».

وخَرَّج الترمذي والنسائي من حديث فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال: «طُوبَىٰ لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِع».

وفي «المسند»، و«سنن ابن ماجه» عن أنس مرفوعًا «ما من غني ولا فقير إلا وَدَّ يوم القيامة أنَّه أوتي قوتًا».

وفي الترمذي عن أبي أمامة مرفوعًا «عرض عَلَيَّ ربي أن يجِلَّ لي بطحاء مكة ذهبًا فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يومًا وأشبع يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك».

وفي «سنن ابن ماجه» أن النبي ﷺ بعث إِلَىٰ رجل يستمنحه ناقة فردَّه، ثم بعث إِلَىٰ آخر فبعث إِلَيْهِ بناقة، فقَالَ النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَ فُلَانٍ -لِلْمَانِعِ الْأَوَّلِ- وَاجْعَلْ رِزْقَ فُلَانٍ يَوْمًا بِيَوْمٍ -لِلَّذِي بَعَثَ بِالنَّاقَةِ».

وخرَّج ابن أبي الدُّنْيَا من حديث أبي هريرة مرفوعا «اللّهمَّ من أحبني فارزقه العفاف والكفاف، ومن أبغضني فأكثر ماله وولده» .

وفي الترمذي وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».

وخرَّجه الطبراني وزاد في أوله «ابن آدم جمعتُ عندك ما يكفيك، وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل ولا من كثير تشبع» وزاد في آخره، « فعلىٰ الدُّنْيَا العفاء» .

وقال عمر: كونوا أوعية الكتاب ينابيع للعلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، وعدوا أنفسكم في الموتىٰ، ولا يضركم أن لا يكثر لكم».

والكفاف من الرزق هو ما ليس فيه فضل لأنّ يكتفي به صاحبه من غير فضل.(١)

وجاء من حديث ابن عباس مرفوعًا: «وإنَّما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه» خرَّجه ابن أبي الدُّنْيَا.(٢)

والمراد أن من اكتفىٰ من الدُّنْيَا باليسير وقنعت به نفسه، فقد كفاه ذلك واستغنىٰ به وإن كان يسيرًا.

قال أبو حازم: إن كان يغنيك ما يكفيك، فإن أدنىٰ ما في الدُّنْيَا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس في الدُّنْيَا شيء يكفيك.

قال بكر المزني: يكفيك من الدُّنْيَا ما قَنَعَتْ به، ولو كف تمر وشربة ماء.

وقال الإمام أحمد: قليل الدُّنْيَا يكفي، وكثير ما يكفي يُعني، إن من اكتفىٰ من الدُّنْيَا كفاه منها القليل، ومن لم يكتف لم يكفه الكثير.

كما قال بعضهم، شعر:

حقيـــق بالتواضـــع مـــن يمـــوتُ ويكفـــي المـــرء مـــن دينـــاه قـــوتُ

وقال آخر:

يكفـــي الفتـــىٰ خُلُـــق وقـــوت مـــا أكثـــر القـــوتَ لمـــن يمـــوتُ

وقد مدح في هذا الحديث من صبر عَلَىٰ كفاف عيشه وقنع به، فأما الراضي بذلك فهو أعلىٰ منزلة من الصابر القانع.

وقد قيل: إن الفقير الراضي، أفضل من الفقير الصابر، والغني الشاكر بالاتِّفاق.

---

(١) قوله: (ما ليس فيه فضل) أي زيادة عن ما يحتاج إليه، أي ليس فيه زيادة عما يحتاج إليه.

(٢) ولا يصح.

وفي الحديث أنَّه عليه السلام كان يقول في دعائه: «رضني بما قسمت لي».
وفي حديث آخر: «إذا أراد بعبد خيرًا أرضاه بما قسم له وبارك له فيه» .[١]
شعر:

إذا رضيت بميسور من القوت أصبحت في الناس حرًّا غير ممقوت
ياقوت نفسي إذا ما تم عفوك لي فلست آسىٰ عَلَىٰ دُرٍّ وياقوت[٢]

قوله: «عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، قَلَّتْ بَوَاكِيهِ، قَلَّ تُرَاثُهُ» يعني أنَّه يعجل له الموت عَلَىٰ هذه الصفة، وهي أن يكون من يبكي عليه قليلاً، وذلك لقلة عياله كما سبق، وأن يكون تراثه قليلاً، ويعني بتراثه الَّذِي يخلفه من الدُّنْيَا، وبذلك فسَّره الإمام أحمد وغيره.

وهذا الكلام يحتمل أن يكون إخبارًا عن حال هٰذا المؤمن، ويحتمل أن يكون دعاء له من النبي ﷺ، فاقتضىٰ هذا الكلام أن المؤمن إذا كان عَلَىٰ حالةٍ حسنة من حسن عبادةٍ وخمولٍ وقناعةٍ باليسير، فإنَّه يغبط بتعجيل موته عَلَىٰ هذه الحالة، خشية أن يفتن في دينه ويتغير عما عليه.

ولهذا المعنىٰ شُرع تمني الموت وطلبه، خشية الفتنة في الدين. وفي «المسند» مرفوعًا «لا يتمنين الموت إلا من وثق بعمله»[٣] . فمن كان عَلَىٰ حالةٍ حسنةٍ في دينه فإنَّه يغبط بموته قبل تغير حاله.

كان أبو الدرداء إذا مات الرجل عَلَىٰ الحالة الصالحة قال: هنيئًا لك، يا ليتني مكانك، فقالت له أم الدرداء في ذلك فَقَالَ: هل تعلمين يا حمقاء، أن الرجل يصبح مؤمنًا ويمسي منافقًا، يسلب إيمانه وهو لا يشعر، فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء والصلاة والصوم.

وقيل: ما تحب لمن تحب؟ قال: الموت. قِيلَ لَهُ: فإن لم يمت؟ قال: قلة المال والولد.

وكان ابن مسعود يتمنىٰ الموت، فقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: لو أني أعلم أني أبقىٰ عَلَىٰ ما أنا عليه لتمنيت البقاء عشرين سنة.

ورأىٰ أبو هريرة شبابًا يتعبدون فَقَالَ: ليت الموتَ ذهب بهؤلاء.

وكان داود الطائي يبكي ويقول: أخاف أن يطول عمري.

وسبب هٰذا أن من أطاع الله أَحَبّ لقاءه؛ كما قال الصديقُ في وصيته لعمرَ: إن أنت حفظت وصيتي لم يكن غائب أَحَبّ إليك من الموت، ولابد لك منه. وإلىٰ هذا الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾[البقرة] .

---

(١) أما الحديث الأول فقد رواه البزار عن بن عمر والطبراني في «الأوسط» عن عائشة بسندين واهيين، ويغني عنه ما في صحيح البخاري من حديث جابر في صفة دعاء الاستخارة «ثم اقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به».
وأما الحديث الآخر فرواه ابن المبارك في كتاب «الزهد» من حديث أبي العلاء بن الشخير مرسلًا وهو ضعيف أيضًا.

(٢) قوله: (غير ممقوت) أي غير مبغض، فالمقت البغض.

(٣) ولا يصح هذا الحديث إسناده ضعيف، أصله في الصحيح «لا يتمنين أحدكم الموت بضر نزل به» ليس فيه ذكر الجملة المستثناة.

وقولـــــه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٦﴾[الجمعة] ومن أراد اللهُ به خيرًا عسَّلهُ، فاستعمله بعمل صالح قبل موته فيقبضه عليه، إِنَّمَا الأعمال بالخواتيم.

وقوله « قَلَّتْ بَوَاكِيهِ» لما كان هذا المؤمن خفيف الحاذ قليل العيال، لم يكن له عند الموت كبير أحد يبكي عليه، خلاف من له أهل وولد وخدم وحشم وعشيرة، فإنَّه يكثر بواكيه مع قلة غناهم عنه، بل يزيد بكاؤهم في عذابه كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» فإنهم كثيرًا ما يفعلون ما لا يجوز من النياحة واللطم، وتحريق الثياب، وإتلاف الأموال، والتسخط لقضاء الله، وذلك كله يعذب به الميت ويتألم به.

ولهذا أوصىٰ كثير من السَّلف أهلهم أن لا يبكون عليهم.

لما احتضر هشام بن عبد الملك أحد خلفاء بني أمية بكىٰ أهله، فَقَالَ لهم: جاد عليكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، ترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر له.

وقال الحسن: شرُّ النَّاس لميِّتٍ أهلُه يبكون عليه ولا يقضون دينه، فهم يفعلون معه ما يضره، ولا يفعلون ما ينفعه في قبره، وكثر من يكي عَلَىٰ الميت عند موته، إِنَّمَا يبكي لفقد حظه منه، إما من نفعه الحاصل له به من مال أو غيره، أو لفقده الأنس به ونحو ذلك من حظوظ الباكين، ولا يبكون رحمة لما هو فيه، وبكاء الرحمة هو بكاء العارفين دون بكاء الحزن، كما قال النبي ﷺ لما بكىٰ: «إِنَّمَا هذه رحمة، وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء» .

احتضر بعض **الصالحين** فبكىٰ أبواه وولده وأهله وصبيانه، فسألهم ما الَّذِي أبكاهم؟ قال أبواه: نبكي لفراقك، وما نتعجل من الوحشة بعدك.

وقال ولده: نبكي لفراقك وما يُتعجَّلُ من اليتم بعدك. فَقَالَ: كلكم يبكي لدنياي، أما فيكم من يبكي لآخرتي؟ أما فيكم من يبكي لما يَلقىٰ في التراب وجهي؟ أما فيكم من يبكي لمسائلة منكر ونكير؟ أما فيكم من يبكي لوقوفي بين يدي ربي؟ ثم صرخ صرخة فمات رَحِمَهُ اللهُ.

فمن « قَلَّتْ بَوَاكِيهِ » كان ذلك أقرب إِلَىٰ رحمته.

وقد روىٰ صالح المري عن الحسن قال: إن الله إذا توفىٰ المؤمن ببلاد غربة لم يعذبه رحمة لغربته، وأمر الملائكة فبكته لغيبة بواكيه عنه.

وفي الحديث «إن من مات في غير مولده قِيسَ به إِلَىٰ منتهىٰ أثره في الجنة».(١)

وقد تبكي السماء والأرض عَلَىٰ المؤمن لفقد عمله الصالح.

---

(١) هذا الحديث رواه النسائي وابن ماجه وإسناده حسن من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ومعنى قوله: (قيس به إلى منتهى أثره) يعني الى منتهى أجله أي المكان الذي مات فيه فيقاس له من المكان الذي ولد فيه إلى المكان الذي مات فيه ويكون له في الجنة.

وقد قال طائفة من السَّلف في قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾[الدخان:٢٩]، قالوا: إن السماء والأرض تبكي عَلَىٰ المؤمن. فَقَالَ علي: يبكي عَلَىٰ المؤمن مصلاه الَّذِي كان يصلي فيه من الأرض، وبابه الَّذِي كان يصعد فيه قوله وعمله، ولم يكن ذلك لآل فرعون، فلذلك لم **تبك** عليهم السماء والأرض.

وقيل: إن في التوراة أن الأرض تبكي عَلَىٰ المؤمن أربعين صباحًا.

فكلما قلت بواكي الميت المؤمن من بني آدم، كان أقرب إِلَىٰ بكاء غيرهم عليه.

وقد سُمع نياحة الجن وبكاؤهم عَلَىٰ جماعة من سلف الأمة منهم: عمر بن الخطاب، والحسين بن علي، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم.

كان للمأمون ولد يسمىٰ عليًّا وكان شديد الترف، فألقىٰ الله في قلبه الزهد في الدُّنْيَا، فهرب من أبيه وخرج إِلَىٰ البصرة وتنكر ولبس الخشن، وكان يصوم النهار ويقوم الليل، ويحمل عَلَىٰ رأسه للناس بالأجرة ما يتقوت به، ويبيت في المساجد يتخللها حتىٰ لا يفطن به، فمرض في بعض المساجد، فلما اشتد مرضه دخل خانًا بالبصرة، فاكترىٰ فيه بيتًا وألقىٰ نفسه عَلَىٰ بارية فلما آيس من نفسه، دعا صاحب الخان، فناوله خاتمه ورقعة مختومة فَقَالَ له: إذا مت فاخرج إِلَىٰ صاحبكم -يعني الأمير- بالبصرة فأره خاتمي وعرِّفهُ موضعي وناولُه هذه الرقعة. فلما مات خرج الرجل إِلَىٰ باب الأمير، فأدىٰ التحية فأدخله فأراه الخاتم، فلما نظر إِلَيْهِ عرفه فَقَالَ: ويلك أين صاحب هٰذا الخاتم؟ قال: في الخان ميت، وناوله الرقعة مختومة مكتوب عليها: لا يفكها إلا المأمون أمير المؤمنين، فأرسله الأمير ميتًا في دجلة إِلَىٰ المأمون، وكتب إِلَيْهِ يعرفه قصته وأنه وجده في غرفة عَلَىٰ بارية في بعض الخانات، ما تحته مهاد ولا عنده باكية، مسجًّى مغمض العينين مستنير الوجه طيب الرائحة، وبعث معه الخاتم والرقعة، ففكها المأمون فإذا فيها: يا أمير المؤمنين اقرأ سورة الفجر إِلَىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[الفجر] فاعتبر بها، واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قوله: « قَلَّ تُرَاثُهُ » فسره الإمام أحمد وغيره ميراثه بعد موته، يعنيان ما يخلِّف من الدُّنْيَا بعده يكون قليلاً نزرًا يسيرًا، هذه سنة الأنبياء -عليهم السلام- كما في حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» والنبي ﷺ لم يخلف إلا آلات الجهاد؛ ففي الصحيح عنه أنَّه لم يخلف إلا سلاحه وبغلته وأرضًا جعلها صدقة .

ولما احتضر أبو بكر الصديق قال لعائشة رضي الله عنها: (يا بنية إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لهم دينارًا ولا درهمًا، ولكنا أكلنا من حريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم عَلَىٰ ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من مال المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرْد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إِلَىٰ عمر. فلما جاء الرسول إِلَىٰ عمر بذلك، بكىٰ عمر، وقال: رحم الله أبا بكر، لقد اتعب من بعده.

ولما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: لا تتهموا الخازن فإني لا أدع إلا إحدىٰ وعشرين دينارًا، وصَّىٰ منها بوفاء ديون، فلم يبق لورثته سوىٰ أربعة عشر دينارًا، هذا وجميع مملكة الإسلام تحت يديه.

ودخلوا عليه في مرض موته وعليه قميص قد اتسخ جيبه وتحرق، فَقَالَ مسلمة بن عبد الملك لأخته -وهي زوجة عمر: ناوليني قميصًا سوىٰ هذا حتىٰ يلبسه أمير المؤمنين فإن الناس يدخلون عليه. فَقَالَ عمر: دعها يا مسلمة فما أمسىٰ ولا أصبح لأمير المؤمنين ثوب سوىٰ الَّذِي ترىٰ عليَّ.

وكان يحيىٰ بن أبي كثير من العُلَمَاء الربانيين، وكان حسن اللباس حسن الهيئة، فمات ولم يخلف سوىٰ ثلاثين درهمًا فكفَّنوه بها.

وكان الأوزاعي قد وصل إِلَيْهِ في حياته من ملوك بني أمية وبني العباس أكثر من سبعين ألف دينار، فأنفقها كلها في سبيل الله وفي الفقراء، فمات ولم يخلف سوىٰ سبعة دنانير.

ومات الإمام أحمد ولم يخلف سوىٰ قطعًا في خرقة، كان وزنها دون نصف درهم، وترك دينًا عليه وُفِّيَ من أجرة عقارٍ خلَّفه.

وكان محمد بن أسلم الطوسي من العُلَمَاء الربانيين، فمات ولم يخلف سوىٰ كسائه يرانا لوضوئه، فتصدقوا به.

ووصىٰ معروف أن يتصدق عند موته بقميصه الَّذِي عليه، وقال: أَحَبّ أن أخرج من الدُّنْيَا كما دخلت إليها عريانًا.

وقال سفيان: يعجبني أن يموت الرجل ولا يخلف كفنًا.

مات بعض الفقراء ولم يخلف كفنًا، فقالت له زوجته: نَفتضح إذا لم تخلف كفنًا. فَقَالَ: لو خلفت كفنًا لافتضحت.

قال يحيىٰ بن معاذ: لا تكن ممن يفضحه في الدُّنْيَا ميراثه وفي الآخرة ميزانه.

لابن آدم في ماله عند مماته مصيبتان عظيمتان يُسْلَبُهُ كله ويسأل عنه كله. فهو حينئذ يجمع لمن لا يحمده ويقدم عَلَىٰ من لا يعذره.

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا ... واعصِ الهوىٰ فالهوىٰ ما زال فتَّانًا
أما ترين المنايا كيف تلْقُطُنا ... لقطًا وتُحلق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه ... نرىٰ بمصرعه آثار موتانا
يا نفس مالي وللأموال أتركها ... خلفي وأخرج من دنياي عُريانا
أبعد خمسين قد قَضَّيتها لعبًا ... قد آن أن تقصُري قد آن قد آنا
ما بالنا نتعامىٰ عن مصائرنا ... ننسىٰ بغفلتنا من ليس ينسانا
نزداد حرصًا وهذا الدهر يزجرنا ... كان زاجرنا بالحرص أغرانا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تخر له الأذقان إذعانًا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطار أوطانًا
خلَّوا مدائن كان العز مفرشها ... واستَفرشوا حفرًا غُبْرًا وقيعانا
يا راكضًا في ميادين الهوىٰ مَرِحًا ... ورافِلًا في ثياب الغي نشوانًا

مضىٰ الزمان وولىٰ العمر في لعب يكفيك ما قد مضىٰ قد كان ما كانا

تم آخره، والحمد لله وحده، وصلىٰ الله عَلَىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.(١)

(١) وهذا آخر التقرير على هذا الكتاب النافع والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.